الـ ١٩٤٧، المبينة في مشروع التقسيم ؟ في هذه النقطة، كان موقف موسكو واضحاً بعض الشيء. فقد لاحظ أحد المعلقين السوفيات «ان مشكلة الانسحاب مرتبطة، بصورة مباشرة، بالحدود الاسرائيلية ـ العربية. وان الاتحاد السوفياتي يعترف بالحقوق المشروعة وبتطلعات كل دولة في المنطقة. وهذا، بالطبع، يفترض، كشرط أساس، ايجاد حدود آمنة ومعترف بها بين اسرائيل وجاراتها العربيات. ان قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧، يدين الاستيلاء على الارض بقوة السلاح؛ وبالانسجام مع هذا، يقترح الاتحاد السوفياتي جعل الحدود التي كانت في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، حدوداً دائمة ومعترفاً بها بين اسرائيل والبلدان العربية المجاورة. وقد توافق البلدان العربية على اقتراح كهذا، رغم انه لا يعني تنازلاً معيناً من جانبهم. لقد بات من المعروف ان حدود ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، هي أكثر ملاءمة لأمن اسرائيل من تلك المحددة بقرار هيئة الامم المتحدة عند خلق دولة اسرائيل عام ١٩٤٧»[٢٧].

ثمة خلاف آخر. لقد تحدثت موسكو، مطولاً، عن الحقوق الفلسطينية المشروعة من دون أن يكون لذلك أي مضمون ملموس. لكنها، في العام ١٩٦٧، أكدت انه ينبغي ان تكون م.ت.ف. محاوراً على قدم المساواة في ايجاد حل عادل ودائم للنزاع العربي ـ الاسرائيلي. وكان هذا الموقف، يعني، في ما يعنيه، ان موسكو تعتقد، أو تريد أن تثير الاعتقاد، بأن مؤتمراً للسلام قد «أزفت» ساعته، بغية دفع المنظمة إلى المزيد من «الاعتدال» لتأكيد حضورها داخل اروقة المؤتمر[٢٨]، بعد الاعتراف العربي بها في مؤتمر قمة الرباض، والنجاح في الامم المتحدة. لكن موسكو كانت تستهدف في هذا المضمار، ضرب التوازن القائم في المنطقة، باضعاف النفوذ الاميركي المتزايد في مصر، وفرص تقارب سوري ـ اميركي، اي اضعاف السلام الاميركي.

اضافة إلى ما سبق، كثيراً ما كانت العمليات الفدائية الفلسطينية تزعج السوفيات، خصوصاً ان موسكو رفضت اعتبار العمل الفدائي سياسة مقبولة. ولما كان استنكار مثل هذا العمل يعني ادانة حركة المقاومة الفلسطينية برمّتها، اتخذت موسكو موقفاً ملتبساً، وتفادت، لفترة طويلة نسبياً، الاشارة إلى العمليات الفدائية التي تتبناها المنظمة. ولكن، حين تطورت علاقتها بالفلسطينيين، بدأت تعلن معارضتها للعمل الفدائي[٢٩]. ومن الامور ذات الدلالة، ان المعارضة كانت علنية. فقد دانت وسائل الاعلام السوفياتية م.ت.ف. لفشلها في التوصل إلى وحدة داخلية تؤدي بها إلى السيطرة على مجموعاتها المسلحة . ونستطيع ان نورد، في هذا السياق، أمثلة، كالانتقاد الذي نشر في صحيفة «برافدا» (١٩٧٢/٨/٢٩)، وفي «سوفيتيسكايا روسيا» (١٨ و ١٩٧٢/١٠/٢٥)، وفي «تاس» (١٩٧٣/٣/٧)[٣٠]. على الرغم من ذلك، عندما تغير الوضع، بعد تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، وادخلت المنظمة في الحسابات الاستراتيجية السوفياتية، تميز موقف موسكو بالقاء كامل المسؤولية على عاتق اسرائيل (عملية معالوت، مثلاً)، بل بدأت تتحدث عن «عمليات عسكرية» فلسطينية[٣١].

وكخلاصة، نقول ان العلاقة بين موسكو و م.ت.ف. في تلك المرحلة، لم تكن نوعاً من الاعجاب المتبادل، أو الاتفاق في وجهات النظر، بل تطورت نتيجة العوامل الاقليمية والدولية، وبخاصة الدولية بسبب التنافس مع الولايات المتحدة الاميركية. وضمن حدّي هذه الفرضية، تطورت العلاقة، تدريجياً، إلى ان وصلت إلى تأييد فكرة اقامة الدولة الفلسطينية في العام ١٩٧٤، والاعتراف الحذر بدور م.ت.ف. كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني. وربما كانت تأكيدات الاتحاد السوفياتي على مركزية العامل الفلسطيني في أية تسوية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي، وسيلة لتهميش وسد الطريق أمام تقدم الولايات المتحدة في المنطقة، على أساس ان مفهوم واشنطن لشروط تلك التسوية، كان